الآراء التربوية فـــي كتابات الإمـــام عبد الوهاب الشعراني

إعـــــداد

أ. أحمد جمال الدين أحمد شافعي

(ورقة بحثية مشتقة من رسالة ماجستير)

إشـــــراف

أ.د/ صبحى شعبان شرف

أستاذ أصول التربية وعميد كلية التربية

كلية التربية جامعة المنوفية

أ.د/ أحمد محمود عياد

أستاذ أصول التربية المتفرغ

كلية التربية جامعة المنوفية

Blind Reviewed Journal

الآراء التربوية فـــي كتابات الإمـــام عبد الوهاب الشعراني

إعـــــــداد

أ. أحمد جمال الدين أحمد شافعي
(ورقة بحثية مشتقة من رسالة ماجستير)

أ.د/ صبحى شعبان شرف
أستاذ أصول التربية وعميد كلية التربية
كلية التربية جامعة المنوفية

أ.د/ أحمد محمود عياد
أستاذ أصول التربية المتفرغ
كلية التربية جامعة المنوفية

تاريخ إستلام البحث : ١٧/ ٢ / ٢٠٢١
تاريخ قبول البحث : ١٥/ ٣ /٢٠٢١

المستخلص

هدف البحث الحالي إلى محاولة الكشف عن آداب المعلم والمتعلم في كتابات الإمام عبد الوهاب الشعراني؛ للاستفادة منها في العملية التربوية وتقديم نموذج للمربي والمعلم الفاضل، وكذلك تقديم نموذج لما يجب أن يكون عليه الطالب ناحية معلمه وحرصه على الاستفادة منه ومن خبرته.

وقد اعتمد البحث على بعض مؤلفات الإمام عبد الوهاب الشعراني، التي لها علاقة بموضوع البحث. وكذلك اعتمد البحث على المنهج الوصفي لملائمته لطبيعة البحث، مستعينا بأسلوب تحليل المحتوى.

وتوصل البحث إلى أن للإمام عبد الوهاب الشعراني أفكارا وآراء تربوية فيما يخص آداب المعلم والمتعلم والعلاقة بينهما، ومن أهمها:

تأكيد الإمام الشعراني على أن المعلم هو أساس العملية التعليمية، ولا يقتصر دوره على التلقين فقط بل هو مشرف ومرشد للعملية التعليمية، ولا بد أن تتوفر فيه صفات أساسية للقيام بدوره على أكمل وجه، وأن يكون حريصا دائما على التطوير المستمر لمهاراته، وأن يكون حريصا على مشاركة الطلاب في الإعداد للعملية التعليمية.

والتأكيد على دور الطالب في العملية التعليمية، وضرورة احترامه وتقديره لمعلمه والحرص على تنمية القدرات والمهارات البحثية.

كما حرص الإمام الشعراني على أن تسود علاقة المحبة والاحترام بين أهم طرفين في العملية التعليمية، المعلم والمتعلم، بحيث لا يقتصر دور المعلم على نقل المعرفة فقط؛ بل أن يجعل الطالب مقبلا ومحبا لعملية التعلم.

ABSTRACT

The present study aimed at trying to reveal the manners of the teacher and the learner from the perspective of the writings of Imam Abd al-Wahhab al-Shaarani. To benefit from it in the educational process and to provide a model for the virtuous educator and teacher, as well as to provide a model for what the student should be towards his teacher and his eagerness to benefit from it and his experience.

The study relied on some of Imam Abd al-Wahhab al-Shaarani's books, which are related to the subject of the study.

The study found that Imam Abd al-Wahhab al-Shaarani has educational ideas and opinions regarding the morals of the teacher and the learner and the relationship between them, and the most important of which are:

Imam Shaarani's assertion that the teacher is the basis of the educational process, and his role is not limited to indoctrination only, but rather he is a supervisor and guide for the educational process. Participation of students in the preparation of the educational process.

Emphasizing the role of the student in the educational process, the need to respect and appreciate his teacher, and the keenness to develop research capabilities and skills.

Imam Shaarani was keen to ensure that the relationship of love and respect prevail between the two most important parties in the educational process, the teacher and the learner, so that the role of the teacher is not limited to transferring knowledge only. But it makes the student receptive and loving the learning process.

مقدمة البحث :

إن العلم والتعليم من أهم الركائز الأساسية التي تسهم في بناء الإنسان، وفي بناء الحضارات واستمرارها وتطورها، وقد بدأ القرآن الكريم رسالته إلى الناس أجمعين بالقراءة التي هي أول خطوات العلم، وعلى طول مساره حثَّ عليه وفضَّل أهلَه على غيرهم، وسهل الله على طالب العلم –كما بين لنا المصطفى صلى الله عليه وسلم– طريقه ويسره له وحفه بالملائكة واستغفار الكائنات حتى الحيتان في البحر، والعلم لا يأتي إلا بالتعلم، فالناس جميعا بين عالم ومتعلم، أستاذ وتلميذ، شيخ ومريد.

"والتربية كعملية اجتماعية تستهدف بقاء المجتمع واستمراره، بل هي وسيلة تقدمه وتطوره، لذلك اهتم المسلمون بالتربية والتعليم منذ ظهور الإسلام نظريا وتطبيقيا، وتاريخ العلماء المسلمين وفكرهم التربوي ما زال نسيج ثقافتنا المتصلة بوعينا الحاضر، مما يستدعي المزيد من البحث والاستقصاء بطريقة علمية" .

كما أن ظهور العولمة التي هي من ثمار التقدم التكنولوجي في جميع المجالات وبالأخص منها في مجالي الاتصالات والإنترنت، كان له أكبر التأثير على عملية التربية أيضا.

فالأمة الإسلامية تواجه اليوم وأكثر من أي وقت مضى الكثير من التحديات والعقبات التي تحاول أن تدفع بها بعيدا عن أداء دورها في العطاء القيمي والثقافي، وتحول دون تحقيق رسالتها الخالدة ومشروعها الحضاري ذي الأبعاد الإنسانية والإسلامية والعربية، وتزداد هذه التحديات في ظل الهيمنة الأمريكية والقطب الواحد الذي ما انفك يحاول النيل من الإسلام حضارة ودولة وتربية وتعليما في ظل مفهوم العولمة .

وأثر وسائل الإعلام الأجنبية المرئية والمسموعة والمقروءة وتصفح أبنائنا للشبكة المعلوماتية دون نقد وتمحيص في ظل مخرجاتها المبهرة، نتج عنه سلوكيات غريبة على مجتمعنا، فقد تدنى مستوى العلاقة بين المعلم والمتعلم والتي وصلت إلى حد الإيذاء الجسدي، كما أن مشكلات الطلاب في تزايد؛ كإثارة الشغب والعدوان والكذب والتأخر الدراسي والتسرب والفراغ والمخدرات والسرقة والاعتداءات المختلفة .

وفي ظل الاتجاهات العالمية والسعي نحو عالم بلا حدود، وفي ظل احتمال تغير قيم المتعلم بفعل تحديات العولمة، تتزايد الأدوار المتوقعة للمؤسسات التعليمية في الحفاظ على تلك القيم .

وعليه فإن البشرية اليوم في أمس الحاجة إلى ثورة روحية، تعيد للإنسان قلبه المفقود، وروحه الضائعة، وكانت كتابات أئمة العلم والتصوف من أمثال الإمام عبد الوهاب الشعراني زاخرة بالمعاني التربوية القيمة، ونخص بالذكر تلك الكتابات التي التزم مؤلفوها بالقرآن الكريم وصحيح السنة النبوية ومنهما كان مداده.

وقد شكّلت هذه الكتابات "حصانة قيمية وسلوكية ضد الانحراف، من خلال تجلياتها الإيمانية والروحية والذهنية التي تتمظهر في ممارسات اجتماعية تجعل من أصحابها نماذج يُحتذى بها في السلوك السوي، لأنها تعطي انطباعا جيدا عما يجب أن يكون عليه الفرد وهو يتفاعل مع جميع عناصر البنية المجتمعية التي يوجد بها" .

ويأتي سبب اختيار الباحث للإمام عبد الوهاب الشعراني، لكونه ظهر في ظرف اجتماعي أشبه ما يكون بيومنا هذا، من ادعاء الكثير بالتزامهم بالقيم الدينية العليا وهم أبعد ما يكون عن الإسلام ووسطيته وسماحته، فقدم الإمام الشعراني من نفسه نموذجا للالتزام العملي أمام تلاميذه ومريديه، وذلك عن طريق سلوكه أولا ومؤلفاته التي ملأت الدنيا علما وحكمة وسلوكا.

حيث يميل العلماء إلى اعتبار الشعراني بمثابة المفكر والكاتب العظيم الأخير قبل الانحطاط الثقافي النهائي للعالم الناطق بالعربية في العصور الوسطى اللاحقة، فبالنظر إلى تاريخ مصر أو تاريخ الأدب العربي، تنتهي فترة عصر المماليك (٦٤٨ / ١٢٥٠-٩٢٣ / ١٥١٧) وتبشر بفترة الحكم العثماني القاحلة فكريا .

ويقول المستشرق الإنجليزي رينولد نيكلسون عنه: "إنه أعظم صوفي عرفه العالم الإسلامي كله وإنه منذ فتح المغول العالم الإسلامي ركدت الحركة الفكرية في الإسلام واقتصر علماؤه على الجمع والتقليد، فلا نجد بوادر انطلاق أو إنتاج خصب منتج أو أي أثر لتفكير أصيل وضيء باستثناء شخصيتين شاذتين هما ابن خلدون المؤرخ، والشعراني الصوفي، وكان الشعراني بالذات مفكرا مبدعا أصيلا، أثر تأثيرا واسع المدى في العالم الإسلامي، يشهد به إلى يومنا هذا إلحاح القراء إلحاحا متواصلا في طلب مؤلفاته" .

وقد كان الشعراني عالما كثير الإحاطة أمينا واسع المعرفة، وكانت له مكانة عقلية مرموقة، وله إلى جانب ذلك أثر بالغ في العالم الإسلامي بفضل ما أوتي من غزارة عجيبة في مادته، فقد كان قلمه يسيل بأسلوب سهل المأخذ، مما أدى إلى إقبال الناس على مؤلفاته، وقد راجت كتبه بالفعل في حياته ولا تزال موضع التقدير العظيم كما يتبين من كثرة تعدد طبعاتها .

فكان أحد أكثر الكتاب تميزًا وإنتاجًا في مصر في القرنين العاشر/ السادس عشر، والذي أنتج أعمالًا في مجموعة متنوعة من الموضوعات

والمتتبع لمؤلفات الإمام عبد الوهاب الشعراني يجده خصَّ في الكثير منها الحديث عن آداب الشيخ/المعلم وآداب المريد/الطالب، وشكل العلاقة بين المعلم والطالب، وما ينبغي على المعلم أن يكون عليه من قدوة حسنة أمام طلابه، ومن مراعاته للفروق الفردية بين طلابه فلا يكلفهم بنفس العمل بل كلٌ حسب طاقته وإمكاناته، وتنويعه لأسلوب الشرح حتى يناسب الجميع، إلى غير ذلك، وكذلك تناول آداب المتعلم سواء مع معلمه أو مع زملائه كما سيتناول البحث.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث من وجهة نظر الباحث في اعتقاده بوجود أزمة قيمية وأخلاقية حقيقية يمر بها المجتمع بشكل عام وتمر بها عملية التربية، نتيجة التحديات التكنولوجية التي غزت كل بيت، وما ترتب عليها من نقل لثقافات أجنبية غير ثقافتنا الإسلامية والعربية إلى أذهان أبنائنا وسلوكياتهم دون تمييز بين النافع والضار.

وكذلك انشغال عدد كبير من المربين بالأهداف المعرفية على حساب الوجدانية، والانشغال بحشو العقول على حساب خواء القلوب، التي هي المحرك الرئيس للإنسان، واعتبار أن المعلم ناقل للمعرفة فقط يمكن استبداله بآلة، وإهمال دوره كصانع للعملية التربوية لابد أن يكون الطالب ملازما له لينقل عنه الخبرات والمشاعر والسلوكيات.

ويمكن المساهمة في حل هذه المشكلة بالاسترشاد والرجوع إلى تراثنا الإسلامي الزاخر بالعلماء والمفكرين العالِمين العاملين، ممن وضعوا أيديهم على الداء وقدموا الحلول الناجعة لها، وعلى رأس هؤلاء إمام وعالم مصري جليل، اتبع المذهب الشافعي والتزم به، وألف عشرات المؤلفات التي تسهم في تربية القلوب وبناء الإنسان السَوي، وهو الإمام عبد الوهاب الشعراني.

أسئلة البحث:

ويسعى البحث للإجابة عن التساؤل الرئيس التالي:

ما آداب المعلم والمتعلم في كتابات الإمام عبد الوهاب الشعراني؟

وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة الفرعية التالية:

١. ما مفهوم التربية عند الإمام عبد الوهاب الشعراني؟
٢. ما أهداف التربية عند الإمام عبد الوهاب الشعراني؟
٣. ما آداب المعلم في كتابات الإمام عبد الوهاب الشعراني؟
٤. ما آداب المتعلم في كتابات الإمام عبد الوهاب الشعراني؟

منهج البحث:

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي لملائمته لطبيعة هذه الدراسة، مستعينا بأسلوب تحليل المحتوى، وذلك لبعض مؤلفات الإمام عبد الوهاب الشعراني المرتبطة بموضوع الدراسة.

حدود البحث:

ليس هناك إحصاء دقيق لمؤلفات الإمام الشعراني، وقد أكد علي مبارك أن مؤلفاته قد بلغت السبعين مؤلفا على أقل تقدير، وتتمثل حدود الدراسة في بعض كتابات الإمام عبد الوهاب الشعراني التي تم تحقيقها من قبل المختصين، والتي أثبت العلماء صحة نسبتها إليه، والتي من خلال قراءات الباحث ظهر له ارتباطها ارتباطا وثيقا بموضوع البحث، وهي:

١. إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء والعاملين.
٢. الأنوار القدسية في معرفة أسرار الصوفية.
٣. الدرر واللمع في بيان الصدق في الزهد والورع.
٤. الكوكب الشاهق في الفرق بين المريد الصادق وغير الصادق.
٥. تطهير أهل الزوايا.
٦. موازين القاصرين من شيوخ ومريدين.
٧. لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق، المعروف بـ "المنن الكبرى".

هدف البحث:

هدف البحث الحالي إلى محاولة الكشف عن آداب المعلم والمتعلم في كتابات الإمام عبد الوهاب الشعراني؛ للاستفادة منها في العملية التربوية وتقديم نموذج للمربي والمعلم الفاضل، وكذلك تقديم نموذج لما يجب أن يكون عليه الطالب ناحية معلمه وحرصه على الاستفادة منه ومن خبرته.

أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث فيما يلي:

١. إن لدى المسلمين تراثا حضاريا عظيما يحتاج أجيالا متواصلة من الباحثين، لمحاولة استخراج ما فيه من كنوز وفوائد عظيمة.
٢. الإفادة من التراث التربوي الإسلامي من خلال دراسة لواحد من أعلام الفكر الصوفي، الذي حاول تنقية هذا الفكر في عصره مما اعتراه من جنوح عن الطريق الإسلامي القويم، والاسترشاد بطريقته في التربية الإسلامية الصحيحة.
٣. دراسة آداب المعلم والمتعلم الواردة في كتابات الإمام عبد الوهاب الشعراني، ومحاولة الاستفادة منها في تربيتنا المعاصرة.
٤. محاولة البحث تقديم نموذج لآداب المعلم والمتعلم في فكر الإمام الشعراني، ويمكن الاستفادة منه في عصرنا الحديث.

المحور الثاني: الإطار النظري:

- **نشأة الإمام الشعراني وعصره:**

يُعد الإمام عبد الوهاب الشعراني "واحدًا من هؤلاء العلماء الذين كانت لهم إسهاماتهم في المجتمع المصري في القرن العاشر الهجري، فرسم بفكره صورةً للمجتمع المسلم الذي ينبغي أن تكون عليه –من وجهة نظره– كل المجتمعات الإسلامية، وذلك من خلال الوقوف على مواطن الداء وبيان طرق الدواء .

ولد الشعراني على أصح الروايات وأشهرها في ٢٧ من شهر رمضان عام ٨٩٨ هـ، وكان مولده في بلدة "قلقشندة"* وهي قرية جده لأمه، ثم انتقل بعد أربعين يومًا من مولده إلى قرية أبيه وإليها

انتسب، فلُقب بالشعراني، وعرف بهذا اللقب واشتهر به، وإن كان هو قد سمى نفسه في بعض مؤلفاته بالشعراوي .

وقد كان الشعراني واسع الإلمام بعلوم عصره، محيطًا بما وقع له من كتب البارزين من أهلها، قدامى ومعاصرين، وقد عرض لذكر ما درسه على أيدي شيوخه من مختلف المصنفات في شتى العلوم، وأبان عن الكتب التي درسها بنفسه، وراجع العلماء فيما أشكل عليه منها، في التصوف والفقه والتفسير والحديث والسِّير واللغة والقواعد والأصول وغيرها .

وقد غادر قريته إلى القاهرة طلبا للعلم حيث استفاد من كثرة شيوخ القاهرة وأقام بالجامع الأزهر ملازما شيخه وأستاذه نور الدين الشوني نحو خمس سنين، ثم غادر الأزهر إلى الجامع الغمري عام ٩١٩ هـ ولبث به سبعة عشر عاما، ثم تحول بعدها إلى مدرسة أم خوند حيث اشتهر شهرة كبيرة .

وكان الشعراني لشدة ذكائه واطلاعه المستمر يقرأ الكتب بسرعة ويفهم ما فيها، لذلك كان يُعجب منه أستاذه زكريا الأنصاري من سرعة مطالعته، فهو يقول: "لولا أنك تكتب زوائدها على الحواشي وتترك الكلام المتداخل لقلت إنك لم تلحق تطالع هذه الكتب .

- **زاوية الشعراني (المؤسسة التربوية الشعرانية):**

كان عبد الوهاب الشعراني أهم الشخصيات الصوفية شهرة في مصر إبان العصر العثماني، حتى لقد درج البعض على جعله "زعيما" دينيا واجتماعيا وسياسيا، ومن هنا فقد حظي باهتمام ملحوظ في القرن العشرين وحتى الآن .

وقد كان من أظهر مميزات التصوف في هذا العصر، تحوله من ظاهرة وجدانية فردية إلى ظاهرة اجتماعية تتمثل في حياة أتباعه في رحاب الزوايا وتحت إرشاد شيوخهم ممن مكنتهم شخصيتهم من اجتذاب المريدين .

وقد انتشرت الزوايا في مصر انتشارا كبيرا، ومن زوايا مصر التي قامت بدور تعليمي مهم في العصر العثماني، زاوية الشعراني .

والزاوية في دائرة المعارف الإسلامية: "مدرسة دينية ودار لأحد الأولياء، وتضم مكتبا أو مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم" وكانت هذه الزوايا بيوتا اجتماعية تربي النفوس وتعالج أمراضها وتطب القلوب تحت إشراف الشيوخ والعلماء الأجلاء .

وبلغت شهرة زاوية الشعراني الآفاق فقد ذكر أحد السائحين الذين يجوبون البلاد للإمام الشعراني أنه قد زار بلاد الشام واليمن والروم والعجم "فما وجدت مدينة مثل مصر، ولم أجد في مصر زاوية فيها اشتغال وخير أكثر من زاويتكم" .

وقد كان يُسمع لزاويته دوي كدوي النحل ليلا ونهارا، ما بين ذاكر وقارئ ومتهجد، ومطالع كتب وغير ذلك .

وبلغ من اتساع علمه أنه كان يكفي طلاب زاويته من الافتقار إلى غيره في كافة العلوم التي يتطلبها المجاورون من فقه ونحو وبيان وبلاغة وطب وأصول وتوحيد وتفسير وحديث وغيرها، فقد كانوا يجدون عنده ضالتهم .

ونلاحظ هنا أنه قد أصبح للمبنى الواحد العديد من الوظائف والأهداف التي يحققها، فللزاوية والمسجد وظيفة دينية، وأخرى تعليمية، وأخرى صوفية واجتماعية، وتضيف إلى تعليمها الإشراف من قِبل الشيخ تربويا واجتماعيا.

كما تسامع الطلاب بأمرها فأقبلوا على الالتحاق بها من كل صوب، حتى ضمت بين جدرانها الكثيرين منهم بين مقيم وراحل .

وأصبحت زاوية الشعراني التي أسسها ليتلقى فيها الطلاب علوم الظاهر مع أذواق الباطن من أعظم منارات العلم والثقافة والتوجيه في العالم الإسلامي في ذلك الوقت، وغدت بمثابة منارة للعلماء والأدباء، ومنبرا للدعوة والإرشاد، وساحة للذكر والعبادة، ورواقا يرسل الشعاع الروحي النقي في عصر انطفأت فيه المصابيح، وخمدت مشاعل الحياة، وأصبح الشعراني قطب الرحى في عصره يلوذ به طلاب العلم وطلاب الذوق، كما يلجأ إليه أصحاب الحاجات والشفاعات، وعلى باب الزاوية يزدحم الأمراء والكبراء .

ويتضح للباحث أنه بجانب اهتمام الإمام الشعراني بتعليم طلابه العلم وحثهم على القراءة والجد والاجتهاد والعمل، حرصه الشديد على الباطن أيضا أو ما يمكن أن نسميه بالجانب الوجداني القلبي، لأن القلب هو المحرك الأساس للإنسان وهو ما يعطيه الدافع للاستمرار والصبر على طلب العلم.

فمتى تزكت النفس وتهذبت طباعها استقام السلوك الداخلي والخارجي لا محالة، بخلاف توجيه العناية إلى تقويم السلوك الظاهر فقط، فإنه بناء على غير أساس، وكل بناء على غير أساس عرضة للانهيار .

- **مفهوم التربية عند الشعراني:**

كان الإمام الشعراني ينظر إلى التربية كوسيلة لغاية وهي إرضاء الله سبحانه وتعالى، فالتربية تغيير سلوك الفرد للأفضل، وتقوِّم المعوج من الإنسان، ولابد من معلم ليقوم بهذه المهمة، ليكون المرشد الأمين للطالب، فيوجهه إلى الطريق المستقيم ويبعده عما يضر به.

وهو يمتاز في مقام التربية بالجمع بين يقظة المربي وحنان الأم الرؤوم، والأب الحنون الحازم، وهذا شأن الصوفي الكامل ينقد بقلبه وروحه لا بنفسه وهواه، وإذا كملت الأمومة والأبوة والمقرئة المضيفة فقد كَمُل التلميذ والمريد .

ويرى أن عملية التربية عملية ذات مراحل تبدأ أولا بالمعرفة والسماع، ثم ينتقل الطالب إلى الفهم، ثم إلى العلم، فيقول: "المريد أولا يسمع، وثانيا يفهم، وثالثا يعلم" .

فالتربية عنده كانت تشمل كل الجوانب وهو ما نسميه اليوم الجانب (المعرفي– الوجداني– المهاري)، فكان يشجع طلابه ومريديه على تزكية النفس والقلب (الجانب الوجداني)، وكثرة القراءة والاطلاع والإلمام بالمذاهب المختلفة وعدم الاقتصار على شيخ واحد وطريقة واحدة (الجانب المعرفي)، ويربط بين العلم والعمل ويرى أن العلم بدون العمل لا طائل منه (الجانب السلوكي).

فيؤكد أنه ما تفاوت الناس في المقامات إلا بالعمل بكل ما علموا؛ من زهد وورع وعفة وحفظ جوارح عن كل ما نهاهم الله عنه، ولذلك قال القوم: التصوف كله أخلاق، فكل من زاد عليك في التخلق فقد زاد عليك في التصوف .

وأنه لا نمل من كثرة تعلمنا العلم والعمل به لكوننا شربنا من حوض نبينا صلى الله عليه وسلم يكون بقدر تضلعنا من الشريعة .

والشعراني عندما يمارس دوره التربوي لا يخاطب الطالب فقط؛ بل يولي الاهتمام بالمعلم أيضا، بصفته طرفا رئيسا في العملية التعليمية، فهو دائما نراه شديد الحرص على توجيه النصائح للمعلم وتذكيره بطبيعة مهمته.

ومن أنفس هذه النصائح قوله مخاطبا المعلم الذي يضيق صدره وينسى دوره التربوي والتعليمي ويرى أنه لا أمل في قيامه بدوره: "وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام حين ضاق صدره من تعليم العامة: يا داود، المستقيم لا يحتاج إليك، والمعوج قد أنساك نفسك من تعليمه، فلماذا أُرسلت؟!".

يتوصل البحث من خلال ما سبق إلى أن التربية عند الإمام الشعراني تربية متكاملة تهتم بكل جوانب الإنسان النفسية والبدنية والعقلية، أو ما نسميه حديثا بالتربية الوجدانية والتربية المهارية والتربية المعرفية.

- **أهداف التربية عند الشعراني:**

وكان من أهم أهداف الشعراني في التربية هو إصلاح النفوس، فقد كان مطمح أمله أن يرى فردا قد تهذبت روحه وسمت نفسه وصلح قلبه وتنور عقله، فذلك الفرد هو الذي عن طريقه تنهض الأمة وتتقدم .

ومن أهداف التربية عند الشعراني أيضا، حرصه على ضرورة انشغال طالب العلم بتربية نفسه، وعدم الانشغال بأخطاء الأخرين، والحرص على الإنصاف إذا اضطر للحكم على أحد، ويعطي لذلك مثالا عمليا من سلوكه عندما يضطر إلى الحكم على الغير في موقف ما، حتى يتعلم منه الطلاب بطريقة عملية:

فيقول: "ولا أحكم على أحد منهم بخروجه عن الشريعة المطهرة بحكم الإشاعة عن أهل فرقته، فقد يكون ذلك الشخص على نعت الاستقامة دون غيره، وإنما أحكم عليه إذا شاهدته يخالف السنة، أو قامت بذلك عندي بينة عادلة، فإن كل طائفة من هؤلاء فيها غالبا الجيد والرديء، والحكم على جميع الطائفة بحكم واحد جور وتهور غالبا" .

فنلاحظ من هذا الكلام النفيس، تعليم الإمام الشعراني لطلابه عدم إصدار الأحكام بطريقة عشوائية بدون شواهد وأدلة قاطعة، وكذلك عدم التسليم للشائعات، وضرورة التزام المنهج العلمي في الحكم على الآخرين، فالشائعات خطر يهدد الأمة وتماسكها، وهي سلاح يستخدمه أعداؤنا لفك اللحمة والترابط بين أطياف الشعب، وكذلك عدم التزام المنهج العلمي في النقد يؤدي إلى تدخل من ليس بعالم في أمور العلم وغيرها، مما قد يفتح الباب أمام البعض للهدم بحجة أنهم يقدمون نقدا بناءً وهو نقد ليس له أساس من علم راسخ يعتمد عليه.

أي أن أهداف التربية عند الشعراني تتمثل في ثلاثة أهداف رئيسة والتي عند تطبيقها من قِبل المعلم تكون عاملا مهما وسببا في نهضة الأمة وتقدمها، وهي:

١. إعداد العقل وتنويره بالاطلاع والقراءة، حتى يتحصل للطالب مستوى عالٍ من المعرفة في مجال تخصصه.
٢. تهذيب النفس وسموها، وجعل ذلك أمله في طلابه حتى يصبحوا من أصحاب الهمم العالية، لأن الأمم إنما تُبنى بالهمم والنفوس التواقة للتقدم.
٣. إصلاح القلب، الذي هو كما رأينا عند الشعراني المحرك الأساس والدافع للتغيير الذي يعطي الفرد الدافع لإصلاح سلوكه.

- **آداب المعلم والمتعلم عند الشعراني:**

إن الحديث عن آداب الشيخ والمريد في الفكر الصوفي يأتي في إطار الحديث عن أخلاقيات العالِم والمتعلم التي تحكم العلاقة التربوية بين كافة أركان العملية التعليمية في الفكر التربوي الإسلامي، ذلك الفكر الذي يعد مهنة التعليم رسالة وعملا دينيا قبل أن يكون مهنة أو وسيلة للتكسب، ولكي تبقى هذه الرسالة ضمن إطار العمل الديني الخالص لوجه الله تعالى، فقد أحاطها العلماء المسلمون بجملة من الآداب والأخلاق المستندة إلى روح الإسلام وعقيدته السمحة، الأمر الذي ميز العملية التربوية الإسلامية، وأكسبها بعدا ومضمونا أخلاقيا هادفا إلى إصلاح الإنسان، وتنمية شخصيته في إطار المثل العليا للدين الإسلامي الحنيف، لهذا فقد أوجب الإسلام على كل عالم أو شيخ يمارس تعليما هادفا وكل متعلم أو مريد للعلم الالتزام بآداب وأخلاقيات تربوية سامية مستندة إلى ما أمر الله به في كتابه العزيز، وتتفق مع المنهج التربوي الذي قرره مربي البشرية الأول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد أفرد الشعراني جانبا كبيرا من مؤلفاته كما سنرى للحديث عن أهمية وجود معلم في حياة الطالب، وعظم دوره والآداب التي يجب أن يتخلق بها طالب العلم، وأكد على أن طلب العلم ينبغي أن يكون على يد معلم، لأن التعلم بغير شيخ قد يضيع الأوقات وقد يفهم المتعلم العلم فهما خاطئا فيطبقه بهذا الفهم الخاطئ كما وصله.

أولا: آداب المعلم/ الشيخ

المعلم عامل أساس في نجاح العملية التعليمية، لا بل أهم عناصرها، إذ إن العملية التعليمية تفقد أهميتها إذا لم يتوفر المعلم الصالح الذي ينفث من روحه لتصبح ذات قيمة وأثر .

وقد اهتم الشعراني بالمعلم والمربي أيما اهتمام في معظم مؤلفاته، وحرص على أن يذكر صفات المعلم المربي والتي ينبغي أن تكون متوفرة فيه، ومدى قدرته على تهيئة الظروف الملائمة لنمو طلابه وتعليمهم في جو صحي مفيد.

فهو يعتبر الطالب الذي يطلب العلم بدون وجود معلم ومرشد له كمثل "الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس لا ينتفع أحد بثمرها ولو أورقت بل ربما لا تثمر أبدا، وانظر يا أخي إلى سيد المرسلين على الإطلاق كيف كان جبريل عليه السلام واسطة بينه وبين الله تعالى في الوحي، تعرف أن اتخاذ الشيخ واجب لا يستغني المريد عنه" .

ويأخذ من كلام أستاذه أبو علي الدقاق ما يؤكد ما ذهب إليه من ضرورة وجود معلم بقوله: "إذا لم يكن للمريد أستاذ يأخذ منه طريقه نفَسًا بنفَسٍ وإلا فهو عابد لهواه" .

ويؤكد أنه "أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ الإنسان له شيخا يرشده" ، وأن هذا العهد يحتاج من يعمل به إلى شيخ يسلك به الطريق، ويزيل من طريقه الموانع التي تمنعه عن الوصول إلى التخلق به أو نحو ذلك من العبارات، إشارة إلى أنه لا يلزم من معرفة الفقيه بالأحكام الوصول إلى العمل بها، بل يحتاج مع ذلك إلى شيخ يريه معالم الطريق كما وقع للإمام الغزالي والشيخ عز الدين بن عبد السلام وغيرهما .

ويشير إلى أن كل ما هو فيه من خير وعلم ما هو إلا نتيجة لأنه تتلمذ على يد مشايخ كانوا يهتمون به ويلاحظونه في كل أموره، ويعتبر ذلك منة وفضل من الله تعالى، فيؤكد أنه "مما منَّ الله تبارك وتعالى به عليَّ: شهودي أن جميع ما أنا فيه ببركة ملاحظة مشايخي لي بإرادة الله تبارك وتعالى، فجميع ما أنا فيه من محبة الناس لي ما أعُده إلا من فضل الله تبارك وتعالى عليَّ بواسطتهم" .

فهو يؤكد على أهمية دور المعلم عندما وجه خطابه لكل من يتصدر للتعليم: "اعلم يا أخي أن هذا الطريق لما كان في مقام العزة والشرف حفت به الآفات من سائر الجهات فلا يسلكه إلا شجاع مقدام على يد شيخ علام، حينئذ تقع الفائدة، فعلى الشيخ أن يوفى حق تربيته" .

ووضع للمعلم صفات أساسية يرى –الشعراني– أنه لا بد أن تتوفر فيه حتى يستطيع ممارسة دوره على أكمل وجه، فيطرح على تلامذته سؤالا: "إن قال لنا مريد فما صفات الشيخ الذي يجب علينا الأدب معه والانقياد لقوله والتقليد له في كل ما يأمرنا به؟" .

فيجيب عن هذا التساؤل مبينا لنا مدى اتساع رؤيته وتقديره لدور المعلم قائلا: "صفته أن يكون متبحرا في علوم الشريعة بحيث لو اجتمع عليه مشايخ الإسلام من علماء المذاهب الأربعة وناظروه في جميع الفقه لأجابهم بنقول المذهب وقطعهم بالحجج الباهرة والاستدلال على كل ما لم تصرح الشريعة بحكمه، ويقوم في تقرير مذاهب الأئمة الأربعة مقام أهلها، ثم بعد ذلك يكون متقيدا بالكتاب والسنة في أقواله وأفعاله وعقائده عارفا بميزان الخواطر كلها من خاطر النفس أو الشيطان أو المَلك أو الخاطر الرباني، ويعرف الفرقان بين هذه الخواطر، ومن شرطه أيضا أن يكون عارفا بالعلل والأمراض المتعلقة بالأبدان والأرواح ليغني مريده عن سؤال غيره، عارفا بكل ما يرقى بالمريد أو يقطعه عن الترقي من سائر الأعمال .

وسُئل الشعراني صراحة متى يصلح تلقيب الشيخ بالأستاذ؟ إذ عنده مرتبة الأستاذية هي العليا، فأجاب: "إذا جمع هذه الثلاث خصال وهي أن يكون عنده دين الأنبياء وتدبير الأطباء وسياسة الملوك، فكل من جمع هذه الثلاث فهو الملقب حقيقة بالأستاذ" .

فالشعراني يجعل من المعلم عالما موسوعيا في مجال تخصصه، وطبيبا نفسيا ومربيا واسع المعرفة بكيفية التأثير الإيجابي في وجدان المتعلم، وعالما بأفضل الوسائل العملية التي ترتفع وترقي المتعلم في حياته العملية.

ويؤكد أنه لا بد أن تكون من مواصفات المعلم الجدية وعدم الإكثار من المزاح مع طلابه إلا فيما تقتضيه الضرورة، حتى يحترم الطلاب العلم والمعلم، فيؤكد أنه: "ينغي للنقيب أن يكون قليل المزاح والمخالطة للمجاورين، وذلك ليهابوه ويمتثلوا أمره إذا أمرهم أو نهاهم، فإن كل من مزح استخفت الناس به شاء أم أبى، خصوصا المزح مع من لا يحتمل المزح" .

وقد لاحظ الشعراني ظاهرة اجتماعية خطيرة وفي محلها، وهي اجتماع الناس حول "أحدهم" لمجرد شهرته أو التفاف الناس حوله لا لعلمه وقدرته وأحقيته، فيقول: "وكثر اتباع العمى وذلك كله لمناسبة الزمان بعضه ببعض، فكل من جمع له جماعة في زاوية وجعل له سماطا مما يشحته، صار شيخا عند العامة، لأنه ليس الشيخ عندهم إلا من كان حوله جماعة، ومن لم يكن حوله جماعة، ولو كان من أكابر الأولياء فليس عندهم بشيخ يُعبأ له" .

كما كان حريصا على أن يُذكّر المعلم دائما بضرورة تحليه بالتواضع حين يتعامل مع طلابه، ويؤكد أنه ينبغي أن يزيد العلم المعلم تواضعا ورحمة، "ومن أراد أن يعلم رتبته في العلم وما يستحق على ذلك من الجزاء في الدنيا والآخرة فليرد كل قول علمه إلى قائله، وينظر فيما بقي معه من العلم بعد هذا الرد فهو أعلم، وأظنه لا يبقى معه من العلم إلا قليلا" .

ويقول للمتصدر للتعليم: "كيف تطلب أن تكون من المؤمنين وأنت طالب لأوصاف المتكبرين من الصلاة على السجادة الرفيعة والمشي في أشرف البقاع من المساجد بالتاسومة (الحذاء)، وربما دخلت المسجد وقلت عند الصلاة: أين السجادة؟" .

فالميزان عنده "أن الله تعالى ما جعل العلم في قلوب العلماء ليصيروا به أربابا على الناس، وإنما أعطاهم العلم لينفعوا به الناس بحسب التيسير" .

ومن أهم صفات وآداب المعلم عند الشعراني أيضا، القناعة، والزهد، والتواضع، وعدم الجزع من أهل الحقد والحسد فإن الناس لا يسلم من ألسنتهم أحد، وعدم الاشتغال بتتبع عثرات الآخرين وعيوبهم .

وكذلك عدم تغير معاملة المعلم لمن تركه من طلابه وذهب لغيره "من علامة الداعي إلى الله تعالى بصدق: أن لا يتغير على من انقلب إلى شيخ آخر من أقرانه، فمتى وجد في قلبه حرارة وضيقا لذلك، فمشيخته حظ نفس لا يصلح أن يلقن أحدا، فاعلم ذلك، واحذر إذا عملت شيخا أن تتكدر ممن لا يتتلمذ لك ولا يسمع لك كلاما ولا يؤهلك لمشيخته، واحذر من هجْر أحد من الخلق بسبب ذلك" .

كما يؤكد الشعراني على وجوب توافر الذوق لدى المعلم، الذي به يستطيع الوقوف على أحوال تلاميذه والشعور بهم فـ"الشيخ إذا لم يكن صاحب ذوق وأخذ الطريق من بطون الكتب وأفواه الرجال

وجلس يربي بذلك المريدين طلبا للرئاسة فهو مهلك لم تبعه لجهله بمورد الطالب وقصده، وقد أجمع القوم على أنه لا يجوز لأحد أن يتصدر لمشيخة إلا أن يكون عنده دين الأنبياء وتدبير الأطباء وسياسة الملوك، وحينئذ يصح أن يقال له أستاذ" .

ومن أساسيات نجاح المعلم في وظيفته من وجهة نظر الباحث حرصه الدائم على التطور المستمر وعدم الاكتفاء بما عنده من علم فقط، لذلك يؤكد الشعراني على هذا المعنى بحديثه عن صفات المعلم الناجح بأنه "لا يتخلف قط عن حضور مجلس علم ولا وعظ؛ اكتفاء بما معه هو من العلم والأسرار، فقد يجري الله تعالى على لسان ذلك العالم من العلوم والأسرار ما لم يخطر لذلك الكامل على بال" .

ويرى الشعراني أن اعتراف المعلم بالخطأ لا يجرح فيه ولا يقلل من شأنه بل هي فضيلة يجب أن يتحلى بها ويعلمها لتلاميذه، فـ"إذا أخطأ في علم أخبر بذلك إخوانه، واعترف لهم بالخطأ إيثارا لجناب الشرع على جنابه، وإن كانت المسألة سارت بها الركبان أرسل لهم رسولا، أو كتابا بذلك؛ ليحفظهم عن العمل بذلك الأمر الذي أخطأ فيه" .

ويلاحظ الباحث أن الشعراني قد سبق عصره عندما تناول الشيخ/المعلم، بصفته مرشدا وموجها للمريدين/ الطلاب ومشاركا معهم في العملية التعليمية وليس في معزل عنهم، فعندما نراه يتحدث عن وظيفة الشيخ ويحدد دوره بأنه "يستخرج للمريد ما هو كامن فيه" هو بذلك يؤكد على هذا المعني، أن المعلم مرشد لطلابه وموجه وميسر لهم عملية التعلم.

ويؤكد في إطار مشاركة المعلم للمتعلم، بأن المعلم لابد له أن يكون "ناصحا –لطالبه– ويصبر معه على المجاهدة والرياضة" .

ولم يقتصر الشعراني على ذكر العلاقة بين المعلم والمتعلم، بل كان حريصا على تأكيد العلاقة بين المعلمين وبعضهم البعض، وأنه ينبغي أن تُبنى هذه العلاقة على المودة والاحترام المتبادل.

فيؤكد أن من نعم الله عليه "عدم تكدري من شيخ جعل له مجلس ذكر في الجامع الذي كنت أذكر أنا فيه قبله، بل أنشرح لذلك، وأذهب بجماعتي إليه، وأعزم عليه أن يكون هو الذي يفتتح المجلس" .

وليس هذا الاحترام فقط أثناء تواجده مع أحد من أقرانه؛ بل في حال غيابهم أيضا "ومما أنعم الله تبارك وتعالى عليَّ: حفظي للأدب مع أقراني في حال غيبتهم، وتبجيلهم وتعظيمهم" .

فنلاحظ أنه من خلال هذه الوصايا التي يقدمها الإمام الشعراني –رحمه الله تعالى– للمعلم أنه يضعه في منزلة مرموقة، ويذكره دائما بعظم مهمته وأنها مهمة الأنبياء من قبل، ويحرص الشعراني على أن يكون المعلم على قدر هذه المسؤولية والأمانة المُكلف بها، بالالتزام بآداب التعليم وأخلاقياته مع نفسه ومع أقرانه ومع طلابه.

ثانيا: آداب الطالب/ المريد

إن احترام المريد لشيخه هو ما يقابله في الفكر التربوي الإسلامي احترام المتعلم لأستاذه، فقد تنوعت صور هذا الاحترام والتوقير لتشمل قيام المتعلم لأستاذه عند دخوله قاعة التدريس على وجه البر لا على وجه التعظيم، وتقبيل المتعلم يد معلمه، وجلوسه على هيئة المتعلم طالب العلم بأن يكون ناصبا لظهره غير متكئ ولا منكفئ وغير مشغول بحركات أصابع يديه أو قدميه، ومن آدابه توقير مجلس معلمه واحترامه والتزام الهدوء والسكينة فيه، ومن آدابه أيضا الانتباه والإصغاء لما يلقى إليه من علم، والإقبال عليه بكافة حواسه .

ويربط الشعراني بين احترام الطالب للمعلم ومدى تأثير ذلك على احترام العلم ذاته، فيذكر متألما حال الطلبة في عصره بأنه "لا نكاد نرى أحدا منهم يقوم بواجب حق معلمه، وهذا داء عظيم في الدين مؤذن باستهانة العلم وبأمر مَن أمرنا بإجلال العلماء صلى الله عليه وسلم" .

ويؤكد أنه ينبغي للطالب أن يخاطب شيخه بالإجلال والإطراق وغض البصر كما يخاطب الملوك ، ويخاطب الطلاب ناصحا: "عليكم بمعانقة الأدب مع أستاذكم ولو باسطكم"، فحتى لو تساهل المعلم وتباسط مع طلابه من باب التقرب منهم ليحبوا العلم، فعلى الطالب أن يراعي ويلتزم سلوك الاحترام والتقدير لمعلمه.

ويطلب من المتعلم أن تكون مخالطته لأساتذته "بالأدب وإلا كانت صحبتك لهم سما قاتلا لك، وإنما قلنا إن من شروط المريد أن يرى جميع ما هو فيه من الخير ببركة شيخه" .

ويذكر سلوكه هو ما مشايخه من باب نعم الله عليه، فيقول: ومما منَّ الله تبارك وتعالى به عليَّ أدبي مع شيخي الشيخ محمد الشناوي رضي الله تعالى عنه، ومع شيخي الشيخ نور الدين الشوني رضي الله تعالى عنه، في دوام السهر معهما فلا أتذكر أني نمت في وقت يكون أحدهما مستيقظا".

وعند حديث الشعراني عن آداب المريد/ الطالب يؤكد على ضرورة احترام الطالب لخصوصية أستاذه، كما أن على المعلم أن يبتعد عما يقلل من شأنه أمام تلاميذه، فيوجه كلامه إلى التلميذ بقوله: "لا يجوز له التجسس على شيء من حركاته وسكناته –المعلم– من أكل أو نوم أو طهارة أو صلاة أو غير ذلك، لأنه ربما نقصت حرمة الشيخ عنده إذا وقف على بعض أحواله".

وأن يكون الطالب في معونة أستاذه ومشاركا له في ما يطلبه منه من أعمال "ومن أخلاقهم أن يكون أحدهم عونا لشيخه على ما يريده من جميع نظام الذكر ومجلس العلم والمناقشة".

ولا نظن بذلك أنه يدعو الطالب للتسليم التام بدون نقاش لكل ما يصدر عن الشيخ/المعلم، فهو يحث الطلاب على التفكير والإبداع وعدم التسليم لكل ما يقوله الأستاذ لمجرد أن الأستاذ قاله، بل يبحثون ويعملون عقولهم، فهو يرى أن الطالب الذي يُعمل عقله طالبٌ أعمى.

ففي معرض حديثه عن المدَّعين من المشايخ والمعلمين يقول أن من صفاتهم أنهم: "لا يحبون إلا التلميذ الذي يطعمهم ويبرهم، فلذلك يقدمونه على أقرانه، لا سيما إن كان يصطاد لهم المريدين ويأتي بهم إليهم، فلذلك يمدحونه ويقولون للتلاميذ العمي الذين حولهم لأجل اللقمة: ما عرف طريقنا غير فلان فيمدحون أنفسهم ويحثون القاصرين أن يسلكوا مسلك ذلك التلميذ".

ومن آداب الطالب أيضا أن يكون صبورا على طلب العلم، وهي من أهم الآداب التي ينبغي توفرها في الطالب الحقيقي، لأن طريق العلم طريق طويل ومحفوف بالصعاب، لذلك شجعت السنة النبوية الشريفة طالب العلم على الصبر، وذكرته بأن "من سلك طريقا يلتمس فيه علما، سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض، حتى الحيتان في الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء هم ورثة الأنبياء، إنَّ الأنبياءَ لم يُورِّثوا دِينارًا ولا دِرهمًا، إنَّما ورَّثوا العِلْمَ، فمَن أخَذَه أخَذَ بحظٍّ وافرٍ".

ويؤكد الشعراني على هذا الخلق بقوله: "ومن أخلاقهم إذا أحس أحدهم بعلامات الكمال النسبي العادي في مقامات الطريق أن لا يطمح بصر أحدهم إلى وقع الإذن من شيخه بل يجب عليه الصبر حتى يكون شيخه هو البادئ له بذلك".

ولا يكتفي الشعراني بهذه الآداب فقط، بل يتوجه بالحديث إلى الطالب منبها في حال أصبح أستاذا وعنده من العلم ما يساوي أستاذه الأول أو يجاوزه، إلا ويفرض عليه التزام الاحترام والتأدب، "ولا يسع المريد إذا ساوى شيخه في المقام أو جاوزه إلا التأدب معه واحترامه دون الاقتداء به".

أما فيما يخص العلاقة بين المتعلمين فلم ينسَ الإمام الشعراني توجيه النصح للطالب فيما يخص علاقته مع إخوانه من طلبة العلم، وأنه ينبغي أن تسود بين الطلبة علاقات المودة والاحترام والتقدير والبعد عن المشاحنة والحسد وكل ما يكدر صفو العلاقة بينهم، ويؤكد على هذه المعاني في أكثر من موضع، ومن أمثلة ذلك، قوله عن أخلاق طلبة العلم:

ومن أخلاقهم ذكرهم لمناقب إخوانهم في المجالس والكف عن ذكر نقائصهم فيها، لأن ذلك يسخط الله ويسخط الإخوان ويوجب المقت من الله تعالى ومن خلقه، وذكر محاسن الناس يوجب رضى الله ورضى الخلق، والعاقل لا يقع فيما يسخط الله عليه أبدا.

فمن كره أخاه وشاحنه بغير حق فلا يرفع له إلى السماء عمل ما دام مشاحنا له، كما صرحت به الأحاديث وذلك كناية عن غضب الله تعالى.. واعلم أن من ادعى الصدق في الإرادة وهو يكره أحدا من إخوانه لحظ نفس فهو كذاب لا يفلح أبدا.

ومما يجب على جميع فقراء الزاوية ستر عورات بعضهم بعضا، وزجرهم لكل من نقل عن أخيه نقصا.

ويقدم علاجا لمشكلة الحسد تتلخص في قوله: "ملاطفتي لمن رأيت عنده حسدا لأخيه المسلم، وصبري حتى يرجع عن حسده".

وحسن سياستي لمن رأيته يبغض أخاه المسلم بغير حق، وذلك بإقبالي عليه وبشاشتي له، وتقديم الطعام له ونحو ذلك مما يميل القلوب إلى المحبة، فإذا مال إليَّ وأحبني سارقته بذكر الصفات التي تميل خاطره إلى عدوه شيئا فشيئا.

ومن أخلاقهم عدم الحسد لإخوانهم إذا حصل لهم إقبال من الشيخ أو أصحابه أو معارفه أو غيرهم، لأن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب كما ورد في الحديث، ومن كان معه نار

تأكل حسناته أول فأول فكيف يدعي محبة القرب من حضرة ربه عز وجل وهو يتعاطى أسباب الطرد، فعلم أن كلما يأكل الحسنات يطرد العبد عن حضرة ربه عز وجل كما أن كلما تثمر الحسنات من الطاعات يقرب العبد بها، وهذا داء قد عمَّ غالب المريدين في هذا الزمان فعدموا بذلك الترقي، لأن الحسود لا يسود، فاعرض يا أخي هذا الخلق على من يدعي الصدق من المريدين في عصرك تعرف حالهم، ولا تنس نفسك والحمد لله رب العالمين .

ويحذر من وجود ظاهرة التنمر بين التلاميذ "ومن أخلاقهم عدم الازدراء لأحد من خلق الله عز وجل، لأنه من شعائر الله، فالذرة الصغيرة كالعرش العظيم من حيث أن خالقها واحد وهو الله عز وجل".

بل يتجاوز بمستوى العلاقة بين الطلاب من عدم وجود الحسد إلى انتشار المحبة بينهم وحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، ويحب الطالب تفوق أقرانه وتميزهم، "ومن أخلاقهم محبة رفع كل أحد مع أقرانهم فوقهم في الدين والصلاح والعلم، فضلا عن كونهم يتكدرون منه لشدة محبتهم الخير لجميع أقرانهم وزهدهم في الدنيا، فلذلك كانوا يحبون رفعة أقرانهم عليهم، ولا يغفلون عن الدعاء لهم".

ومن أخلاقهم أن يزكوا أصحابهم في غيبتهم، في كل مجلس ذكرهم الناس فيه بسوء، ثم لا تطلب نفوسهم منهم أن يُعلموا بذلك إخوانهم لا بنفسه ولا بغيرهم، وهذا خلق لا يقدر على التخلق به إلا مَن يعامل الله تعالى خالصا لوجهه الكريم.

ويقدم هو نموذجا عمليا لطلابه عندما يذكر موقفا حدث معه، عندما تركه بعض طلابه ليتتلمذوا على يد شيخ غيره، فما كان منه إلا قام بتحبيب هؤلاء الطلاب في شيخهم الجديد "وأرغبه جهدي في الأخذ عنه ولا أتكدر منه في الباطن".

بل يؤكد أن من نعم الله عليه "انشراح صدري إذا سمعت الناس يقولون عن تلامذة أحد من أقراني الذين أخذوا عن شيخي، إنهم على قدم عظيم، وإن شيخهم هو الوارث لمقام شيخي حقيقة، وأنا لم أرث من شيخي إلا الدعوى فقط، ومتى ظهر تكدر لذلك؛ فهو دليل على صدقهم في أني لم أرث من مقام شيخي شيئا".

من كل ذلك يتضح للباحث مدى حرص الإمام الشعراني على أن تسمو أخلاق طالب العلم، وأن تكون دائما في ارتفاع، مما يسهل على طالب العلم التركيز على عملية التعلم وعدم الالتفات لما قد يؤثر عليه بالسلب، ويكون الهدف هو طلب العلم لا التصنع والالتفات لما يقوله الناس.

نتائج البحث:

وقد توصل البحث الحالي، إلى أن آداب المعلم والمتعلم من منظور كتابات الإمام الشعراني، والتي يمكن –على حد رأي الباحث– الاستفادة منها في عصرنا الحديث، يمكن تحديدها كالآتي:

أولا: آداب المعلم:

أولا على مستوى المعلم، فقد أكد الإمام عبد الوهاب الشعراني على أن:

- المعلم أساس العملية التعليمية.
- المعلم ليس ملقنا فقط بل مشرفا ومرشدا للعملية التعليمية.
- ضرورة تحلي المعلم بالصفات الخُلقية التي تمكنه من القيام بدوره المنوط به، أو ما أسماه الشعراني بالصفات الأبوية، من (تواضع– رحمة– شفقة– سعة الصدر وقوة التحمل).
- ضرورة تحلي المعلم بالمؤهلات العلمية المناسبة والحرص على الجدية في إدارة العملية التعليمية.
- حرص المعلم على التطور المستمر والارتقاء بمستواه العلمي والمهاري.
- توفر مهارة الإبداع والتجديد في المعلم والبعد عن التقليد، مما يساعد الطلاب على اكتشاف مهاراتهم وقدراتهم وتوظفيها التوظيف الأمثل.
- مشاركة طلابه في تجهيز المادة العلمية المناسبة لهم؛ ليشعروا بمدى قيمتهم في العملية التعليمية.
- تربية الطلاب على النقد البنّاء والبحث العلمي.
- ضرورة توفر صفة "الذوق" عند المعلم والتي تمكنه من معرفة أحوال تلاميذه والتنبه لما يصيبهم من تغيرات، سواء كانت هذه التغيرات للأفضل أو للأسوأ، حتى يستطيع التعامل معهم بالطريقة المناسبة لأحوالهم ومرحلتهم العمرية.
- المصارحة مع طلابه وإشعارهم بمدى حرصه واهتمامه بهم.
- تدريب طلابه على ضرورة الانتباه لقيمة الوقت في حياتنا، بأن يكون هو النموذج العملي لهم في الحفاظ على الوقت واستثماره الاستثمار الأمثل.
- الاعتراف بالخطأ إذا أخطأ، ويكون قدوة لطلابه في هذا الأمر.
- لابد أن ينتبه المعلم لكونه قدوة لتلاميذه، فينتبه لكل ما يصدر عنه، فيكون نموذجا للشرف والأمانة وحسن الخلق، مع طلابه ومع زملائه المعلمين.

ثانيا: آداب المتعلم:

وعلى مستوى المتعلم، فقد أكد الإمام عبد الوهاب الشعراني على:

- احترام الطالب للمعلم وتوقيره، فتقدير العلم يبدأ بتقدير المعلم ودوره.
- أن يكون الطالب حريصا على تنويع مصادر التعلم وعدم الاكتفاء بمعلم واحد أو بطريقة واحدة.
- لابد من توفر الدافع لدى المتعلم ليستطيع استكمال مسيرته التعليمية وتحقيق أفضل النتائج المرجوة.
- مشاركة المعلم في تجهيز المادة العلمية والمبادرة بالاقتراحات والأفكار الإبداعية.
- الحرص على البحث والتجديد وعدم التقليد الأعمى، بل استخدام أدوات البحث العلمي وتطبيقها فيما درسوه.
- الصبر والدأب على العلم والتعلم.
- عدم التدخل في الحياة الشخصية لمعلمه ولزملائه إلا بالقدر الذي يسمحون له به.
- الحرص على أن تسود علاقات المودة والاحترام بينه وبين زملائه الطلاب.
- البعد عن الغرور والكِبر في حالة تحصيل ما لا يستطيع أقرانه تحصيله؛ فهما أول طريق الجهل.
- إذا صار التلميذُ أستاذا عليه التزام الأدب والاحترام والتقدير لكل من علّمه ولا ينسى فضلهم عليه أبدا.

المراجع

- أحمد محمد عقلة الزبون: "آداب الشيخ والمريد الواردة في الرسائل والمؤلفات الصوفية في الفترة الزمنية الممتدة من القرن الثالث إلى السابع الهجريين دراسة تحليلية ونقدية في ضوء الكتاب والسنة"، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج ١٢، ع٣، ٢٠١٦م، ص ص ١٩١- ٢١٨.
- إيهاب إبراهيم السيد: العولمة وأثرها على تغير القيم داخل المؤسسات التعليمية، متاح على الرابط/https://www.new-educ.com/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%88%D9%84%D9%85%D8%A9-%D9%88-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A4%D8%B3%D8%B3%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B9%D9%84%D9%8A%D9%85%D9%8A%D8%A9 روجع بتاريخ ٢٠٢٠/٧/٢٦.
- توفيق الطويل: التصوف الإسلامي في مصر إبان العصر العثماني، السلسلة الفلسفية والاجتماعية، القاهرة، مكتبة الآداب، ١٩٤٦م.
- ــــــــــــ: الشعراني إمام التصوف في عصره، سلسلة أعلام الإسلام، لجنة دائرة المعارف الإسلامية، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٥م.
- زيد الدين محمد عبد الرؤوف المناوي: طبقات الصوفية.. الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية الطبقات الكبرى، تحقيق محمد أديب الجادر، بيروت، دار صادر، ١٩٩٩م.
- طه عبد الباقي سرور: التصوف الإسلامي والإمام الشعراني، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٥.
- عادل أمين حافظ: "آراء الإمام عبد الوهاب الشعراني في إصلاح المجتمع دراسة نقدية"، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، العدد ١٨، ٢٠٠٩، ص ص ٣٢٣- ٤٢٧.

- عبد الحفيظ فرغلي علي قرني: عبد الوهاب الشعراني إمام القرن العاشر، سلسلة أعلام العرب، العدد ١١٦، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.
- عبد الرحمن حنبكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ط٤، دمشق، دار القلم، ١٩٩٩.
- عبد العزيز محمد عطية متولي: "قراءات تربوية في فكر الشعراني"، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، ع ٨٤، ١٩٩٩، ص ص ١-٧٤.
- عبد الوهاب الشعراني: إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين ومعه عقيدة أكابر أهل السنة والجماعة، تحقيق محمد عبد القادر نصار، أحمد فريد المزيدي، القاهرة، دار الكرز للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦.
- ـــــــــــ: الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، تحقيق طه عبد الباقي سرور، السيد محمد عبد الشافي، بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٨٨.
- ـــــــــــ: الدُّرر واللُّمع في بيان الصدق في الزهد والورع، تحقيق أحمد فريد المزيدي، محمد عبد القادر نصار، القاهرة، دار الكرز للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥.
- ـــــــــــ: الكوكب الشاهق في الفرق بين المريد الصادق وغير الصادق، تحقيق حسن محمد الشرقاوي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩١.
- ـــــــــــ: تطهير أهل الزوايا من خبائث الطوايا، تحقيق أحمد فريد المزيني، القاهرة، دار الكرز للنشر والتوزيع، ٢٠١٢.
- ـــــــــــ: لطائف المنن والأخلاق في وحوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق، المعروف بـ"المنن الكبرى"، تحقيق أحمد عزّو عناية، دمشق، دار التقوى للطباعة والنشر، ٢٠٠٤.
- ـــــــــــ: موازين القاصرين من شيوخ ومريدين، تحقيق عاصم إبراهيم الكيالي، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧.

- فالح العمرة: مناهج التعليم في ظل العولمة، متاح على الرابط http://www.alajman.ws/vb/printthread.php?t=1759 روجع بتاريخ ٢٠٢٠/٧/٢٣.
- مجموعة باحثين: دائرة المعارف الإسلامية، الجزء العشرون، الإمارات، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ١٩٩٨.
- محمد أبو عاقلة الترابي: "القيم التربوية في الإسلام دراسة مقارنة"، مجلة المنبر، العدد الثامن، ص ص ٨٧-١٠٨، ٢٠٠٩.
- محمد المهدي منصور: التجديد في الفكر الصوفي نماذج من مدارس التصوف التجديدي، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان، كلية الدعوة الإسلامية، السودان، ٢٠١٠.
- محمد صبري الدالي: التصوف وأيامه دور المتصوفة في تاريخ مصر الحديث، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١٢م.
- ــــــــــــ: الخطاب السياسي الصوفي في مصر قراءة في خطاب عبد الوهاب الشعراني للسلطة والمجتمع، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تاريخ مصر المعاصر، ٢٠١١م.
- مصطفى يوسف منصور: "تحديات العولمة التربوية المتعلقة بالمدرسة وسبل مواجهتها"، مؤتمر الإسلام والتحديات المعاصرة، ٢٠٠٧، غزة، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، ص ص ٥٩٤-٦٤٤.
- معتوق جمال، وأوسرير محمد: "الصحة الإيمانية والوقاية من السلوك الانحرافي التربية الصوفية نموذجا"، مجلة دفاتر المخبر، العدد ٨، جامعة سعد دحلب، الجزائر، ص ص ١٣٠-١٥٢، ٢٠١٣.
- مقداد إسماعيل الدباغ: "الآراء التربوية للإمام الخطيب البغدادي"، مجلة كلية التربية، جامعة بابل، العراق، ص ص ٨٦-١٠٥، ٢٠٠٨.

ثانيا: المراجع الأجنبية

- Michael winter: society And Religion in Early Ottoman Egypt Studies in the Writing of 'Abd Al-Wahhab Al-Sha'Rani, London, routledge, 2017.
- :_____al-Sharani (Abdulwahhab b. Ahmad), https://ottomanhistorians.uchicago.edu/en/historian/al-sharani-abdulwahhab-b-ahmad